

ربيعي بن عامر

بين شرعة الله تعالى وشرعة الأمم المتحدة

كتبه:
أبو عمر الشامي



ربيعي بن عامر

بين شرعة الله تعالى وشرعة الأمم المتحدة



يروى ابن كثير قصة ربيع بن عامر المشهورة لما بعثه سعد بن أبي وقاص محاولاً لقائد الفرس في معركة القادسية فقال:

(ودخل ربيع بـثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضة على رأسه، فقالوا له: ضع سلاحك. فقال: إني لم آتكم، وإنما جئتم حين دعوتوني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت. فقال رستم: ائذنوا له. فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فحرق عامتها، فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعواهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله. قالوا: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي).

لربما لا يُعرف عن ربيع بن عامر رضي الله عنه وعن تاريخه في الإسلام إلا هذه العبارة وهذا الموقف، إلا أنه رضي الله عنه بعبارته تلك التي جمعت بين حسن الفهم وحسن المنطق: صار مثلاً يضرب في توضيح حقيقة رسالة ومغزى عبادة الجهاد في الإسلام.

ربيع بن عامر لم يحتج إلى أكثر من أن يدرس في مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم ويقرأ القرآن ويفهمه على سليقته العربية، بعيداً عن تأويلات المتأولين وتحريفات المخرفين؛ لتتضح له حقيقة المهمة والهدف ثم الوسيلة والصراط، فكانت الثمرة هي كسر المجوس وتحرير العراق من رجسهم وشركهم!

ربيع بن عامر قرأ قول الله تعالى: {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله}، وفي آية أخرى: {ويكون الدين كله لله}، وقرأ قوله تعالى: {قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون*}.
ربيعي سمع حبيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول: "أُمرتُ أنا أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم".

لم يحتج ربيعي بعد هذا البيان إلى بيان؛ فالأمر أوضح من أن يحتاج إلى بيان!

فالقِتال والجهاد في سبيل الله غايته تحرير الإنسان قبل تحرير الأوطان والبلدان؛

تحرير الإنسان من العبودية لغير الله أنى كان ذلك المعبود حجراً أو وثناً، أو قانوناً أو دستوراً؛ ليكون هذا الإنسان خاضعاً وعبداً لله وحده فقط: (لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد).

قتال غايته تحرير العباد من الخضوع لغير دين الله؛ فلا يعبدون غير الله، ولا يأترون إلا بشرعه، ولا يُحكم في ديارهم إلا بأمره وحكمه؛ فيكون الدين كله له سبحانه...

فهذا الجهاد هو الذي شرعه ربنا وأمر به، ووعد القائمين عليه الآخذين بأسبابه نصراً ومدداً..

جهاد غايته أن يشهد الخلق أن "كلمة الله هي العليا"، وأن تُسحق كلمة الذين كفروا فتكون هي السفلى..

وعلى هذا الجهاد سار السابقون، ولأجله تسابق الفاتحون في تاريخنا شرقاً وغرباً، فصدقهم الله وعده ونصر جنده وأورثهم الأرض، وكانوا في جهادهم هذا لا يلتزمون إلا بهدي النبي عليه الصلاة والسلام وسنته، فعلموا أنه في هديه ودينه قتل الأسرى حتى نثخن في الأرض! كما في هديه الفداء والمَنّ والرق.

وأن من هديه التنكيل والتشريد بكل كافر رعيدي! كما في هديه الإحسان للمقدور عليه إذا ظن في ذلك خيراً.

وأن من هديه قتل كل كافر بالغ قادر على المحاربة! كما في هديه التهجير والطرْد.

وهذا كله بحمد الله مجمع عليه في الجملة بين المسلمين، وهذه كتب علمائهم الأقدمين شاهدة ناطقة لمن أراد!

أما قتال غايته تحرير أرض من دنس كافر أعجمي، ثم تركها لثُحْكَم بعدها بكافر عربي إذا أراد أهلها ذلك: فهذا ليس جهاداً، وإنما هو مدافعة أو "مقاومة"، أو نضال أو كفاح.. سمه ما شئت إلا أنه ليس جهاداً!

هي مقاومة يتساوى صاحبها مع جيفارا في قتاله لـ "الإمبريالية"، والنصراني الفرنسي والشيوعي الروسي في قتالهم ضد "الاحتلال" الألماني، لا فرق إلا في دين المقاتل، أما الغاية فهي واحدة!

فلا يستوي القتال الذي غايته سماوية ربانية، يكون فيها الدين والخضوع والأمر والحكم كله لله وحده فقط، مع قتال غايته أرضية وطنية قومية يكون فيها الدين كله للأمم المتحدة الملحدة!

ترى لو كان جواب ربيعي لرستم: إن مقاومتنا حق تكفله الأديان السماوية والقوانين الأرضية، أو قال له: إنما جئنا للدفاع عن المقدسات الإسلامية والمسيحية،

أو قال له: إنني مبعوث غرفة العشائر العربية المشتركة للدفاع عن حقوق العرب، وإننا جئنا لنطلب حق العرب في أرض العراق..

أو قال: يا أحرار العالم تعالوا أعينوننا على المحتلين الفرس..

أو قال: إن شعبنا ابتعثنا لنحرر له أرضه ونترك له حرية تقرير المصير..

ترى كيف سيكون رد رستم عليه.. وماذا كان سيكون مآل المعركة؟!

الجواب: سيكون أهل العراق إلى الآن عبدة نار مجوس!

لقد كان نبينا عليه الصلاة والسلام يستطيع أن يوحد العرب على قضية قومية وطنية، ويستخدمها ستاراً لتحقيق دعوته ونشر سيادته، ثم بعد انتصاره يستخدم سلطانه وقوته في نشر الدين، ويكون بذلك قد وحد العرب أو بعض عشائر الجزيرة العربية في قضية قومية لا تنكرها قلوبهم وتقبلها أهواؤهم، ويوفر في ذات الوقت على نفسه وعلى صحابته عناء الدخول في صراعات داخلية مذهبية طائفية — كما هو تعبير أهل زماننا —، ويحمي صحابته من التعذيب والاضطهاد والقتل الذي واجهوه علي يد أبناء عموماتهم وقبائلهم.

أقول: لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك ذلك في مناسبات عديدة؛ منها: لما عرض عليه عتبة بن ربيعة عرضه المشهور، وفيه: وإن كنت تريد ملكاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك!

لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى ذلك كله، ورفض كل هذه العروض، وأصر على الدخول في "الصراعات الداخلية" مع قبيلته وأبناء عمومته، حتى هاجر ومن آمن معه إلى المدينة ثم عاد ليقاتل بمن آمن من "الأجانب" — أعني الأنصار — أهل بلده ومن رفض متابعتة على دينه من عشيرته وأبناء عمومته، وكذا حال المهاجرين معه حتى قاتل الرجل أباه وأخاه وابنه!

ونزل القرآن حاثاً مادحاً لهذا "الصراع الداخلي بين أبناء الوطن الواحد" ما دام سببه وأسسه الدين والعقيدة لما قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِ الْإِيمَانِ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾.. وهذه الروح هي التي يحتاجها أهل غزة اليوم، وتحتاجها الأمة جميعها، بعد أن تاهت بها السبل وضلت الطريق وما زالت.

نقول هذا الكلام ونحن ندرك عظم النازلة بالمسلمين في أرض غزة خاصة وحجم البلاء الذي نزل بهم وغزارة الدماء التي نذفت، نسأل الله أن يحقن دماءهم ويعجل خلاصهم ويحسن عاقبتهم، لكن الرائد لا يكذب أهله!

إن كل عارف بالدين مخلص في نصحه للمسلمين يعلم علم اليقين أن الراية التي تصدرت المشهد في غزة ليست راية شرعية نقية صافية، وأن معركتها قد شابها الدخن من كل لون، بل إنهم لم يتحفوا المسلمين ولو لمرة واحدة ولو بمجرد الكلام أن غاية قتالهم هو أن تكون كلمة الله هي العليا، فألسنتهم تنضح دائماً بما أشربت به قلوبهم بل غرقت وانطمرت؛ من خطاب الجاهلية الوطنية المظلم، وكلام مداهنة واستجداء طاغوت الأمم الملحدة والمجتمع الدولي والشرائع الدولية الكفرية وغيرهم من الطواغيت، فضلاً عن إعلانهم الاتحاد مع الرافضة أقدر المشركين وأقذعهم، بل إن القوم إذا ذكروا المسجد الأقصى يذكرونه على قاعدة الحفاظ على المقدسات وكأنه معلّم من المعالم الوطنية بتعبير أهل الديانة الوطنية الجاهلية! وهذا شأنهم إذا أوردوا في خطابهم الآية من القرآن أو ذكروا شيئاً من أمر الدين؛ لا يذكرونه إلا مخلوطاً مغموراً في ثنايا الخطاب الوطني الجاهلي، الذي يحاكون به ما تسمح به الشرائع الدولية الكفرية، وكل من عرف حالهم - بل إنهم شاهدين لا يستحون ولا ينتفون من ذلك - بأنّ أنهم غدوا متّسقين مع هذا الخطاب، لا يقولونه تقية أو سياسة كما يزعم من يبرر لهم من الجهلة.. بل إنهم مقتنعون متشربون بهذا الخطاب وينطلقون منه لا يرون في ذلك مضاضة..

وليتهم إذ حرفوا وخلطوا ولبسوا في الخطاب سلّموا مما خافوا منه وهربوا!!

بل لم يقبلهم الكفار ووصموهم بـ "الإرهاب" وهو شرف لا يستحقونه!

وحتى من روجوا لهم - بعد إذن أسيادهم الصليبيين - من إعلام كلاب السيلية والعديد؛ لم يروجوا لهم ويتبنّوهم إلا بعد شروط مهينة ألزمتهم أن ينسلخوا - في جملة ما انسلخوا منه - من بعض أحكام الجهاد الفقهية في الشريعة؛ مثل: الانغماس أو العمليات الاستشهادية وقتل الأسرى، وألزمهم بتفريق ما أنزل الله به من سلطان بين يهودي مدني ويهودي عسكري!! وكل هذا هم يعلمون يقيناً أنه لا خلاق له في دين الله، بل إن سالفهم كانوا على خلاف ذلك؛ فكانوا ينفذون العمليات الاستشهادية في عقر ديار اليهود بين عوامهم لا يفرقون بين أحد منهم.. ثم تحت شروط كلاب السيلية تنكبوا عن ذلك ونبذوه، بل صاروا يعدّونه تهمة ويحرصون أن يظهروا أنهم لا يستهدفون اليهود "المدنيين"!! ثم بعد كل هذا هل أغنى عنهم كلاب السيلية والعديد شيئاً؟ بعد كل ما تنازلوا عنه من الأحكام الشرعية وكل ما التزموه من الخطاب المدخول العمّي الجاهلي هل أغنى ذلك عنهم شيئاً؟!!

وقل أعظم من ذلك وأشنع وأخزى منه وأقذع إذ تنكب القوم يوم مكنهم الله من أرض غزة؛ فلم يحكموا بالشرعة ولم يقيموا الحدود، ولم يبادروا إلى ما افترضه الله من نصب الإمام الشرعي، ولم يقيموا منار ملة إبراهيم، ولم يعلنوا بالولاء لله والبراء من الشرك والمشركين، كل هذا فيما كان يزعم من يبرر ويتأوّل لهم بغية أن يصرفوا عنهم سوط الطاغوت الدولي ويستأنوا من هجمته ريثما يقيموا للإعداد صروحه، ويسلكوا مسالك السياسة "العبقريّة"

التي تمنحهم الفرصة وتحيد عنهم الأعداء زعموا.. ثم ها هم هدموا كل ما كانوا يعرشونه من أوثان التأويل المزعوم والتسويغ المكذوب؛ فلا هم أبقوا على مراعاة المصالح التي زعموها، ولا هم أهدروها طاعة لله وتقديمًا لأمره لما أهدروها.. فأفخروا لجج الدماء المعصومة من المسلمين في غزة ليسيروا فيها مراكب التيه بأشرعةٍ وألواح بالية من تحت الجاهلية الوطنية مشدودة إلى حبال من غرور من نسج شياطين الرافضة.. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

إن هذا القتال بهذا الدخن البشع والضلال الأذنع؛ لم يكن يومًا سبيل الله، ولم تكن يومًا هذه راية الله..

إن خطاب هؤلاء لم يكن يومًا خطاب أنبياء الله وأتباعهم..

لم يكن هذا خطاب ربيعي بن عامر الناطق العام والمتحدث باسم جيش الفتح الإسلامي المبارك..

إن سبيل الله لا يجتمع مع تطبيق أحكام الأمم المتحدة والقوانين الطاغوتية في الأرض.

وسبيل الله لا يجتمع مع إعلان الولاء لكل مرتد وملحد وكافر متبنٍ للقضية الفلسطينية!

وسبيل الله لا يجتمع مع سبيل المشركين أعداء الصحابة سبائي أمهات المؤمنين سفاكي دماء المسلمين من

الروافض الملاحين، فكيف بمن ربط مصيره ومعركته بهم وأعلن وحدة المسار ووحدة المصير!

لو كان رفع راية خضراء مكتوب عليها كلمة الشهادتين ضد عدو واضح كاف لاعتبار ذلك قتالًا في سبيل الله؛ لكان قتال جنود ابن سلمان ضد الحوثيين قتالًا في سبيل الله، ولكنه كان قتالًا في سبيل ابن سلمان؛ لذلك كانوا مخذولين.

كتب أبو الدرداء إلى سلمان الفارسي: أن هلم إلى الأرض المقدسة -يعني بيت المقدس-، فكتب إليه سلمان: إن الأرض لا تقديس أحدًا، وإنما يقديس الإنسان عمله.

إن الله لم يأمرنا أن نقاتل في سبيل القدس وفلسطين، أو في سبيل أرض أو وطن أو كوفية، أو لأجل حق عودة أو تراب أو غير ذلك، وإنما أمرنا أن نقاتل في سبيله، ولا يكون القتال في سبيل الله إلا حيث كان حكم الله وأمره هو الوسيلة وهو الغاية..

هو الوسيلة؛ فلا نوالي ولا نعادي إلا فيه ولأجله، لا لوطن ولا لمصلحة مزعومة نجعل فيها أعداء الله شركاءنا وأوليائنا ولا نفرق بين يهودي وصهيوني وغيرها من كذب العصر.

هو الغاية؛ فيكون تعبيد البشر لرب البشر هو محصلة قتالنا، لا تعبيد الناس لغويتيرش وأمه الملحدة!

ولما يكون قتالنا هكذا حق لنا بعدها أن نسأل الله وعده ونرجو نصره، أما قبل ذلك فإننا نكذب على الله وعلى الناس..

نكذب على الله لما نقول إنه وعدنا النصر، والله إنما وعد النصر من قاتل في سبيله كما أمر هو سبحانه.. ونكذب على الناس لما نقول لهم إننا ننتظر موعود الله بالنصر والنصر صبر ساعة، وإنما نصر الله لمن أخذ بسببه حقا لا لكل مدع!

وإلى حين ذلك قد يرينا الله بعض عذابه ورجزه بالكافرين المجرمين لشدة إجرامهم وطغيانهم، فيعذبهم بأيدي من يشاء، لكن أن ننتظر وعد الله بالنصر والفتح فهذا لا يكون ولن يكون إلا بعد اكتمال أسبابه..

وهذا الكلام قد يكون ثقيلاً مرّاً، وقد يعده البعض خذلاناً وتخذيلاً وإرجافاً وطعنًا وغيرها من الاتهامات.. ولكن من صدّقك خير ممن كذّبك، وأول النصر معرفة الطريق، وغير ذلك إنما هي أحلام وتخربات وبقاء في التيه ومزيد آلام ودماء..

وإننا نرى أن الراية النقية الصافية راية التوحيد والجهاد والخلافة قد آن أوانها في بيت المقدس، وعمّا قريب ترتفع هناك بإذن الله ليلتحق بها كل الصادقين، فانظر مكاناً لك تحت ظلالها!

كتبه:

أبو عمر الشامي، أحسن الله خلاصه

ربيع الآخر ١٤٤٦

